

التقوى وثمراتها في القرآن الكريم

أ. د. أبو الزبير محمد صالح
أستاذ بقسم التفسير

التقوى في لسان الشرع :

التقوى صفة عظيمة يرغب فيها القرآن كثيراً في العديد من آياته وسوره ويدعو إلى ضرورة التحلي بها سرّاً وعلناً وفي سائر الظروف والأوضاع لأنها أم الفضائل وجامع الخير كله ولها الأثر الطيب في سلوك الفرد والجماعة وكيف لا وهي التي بمقتضاها تحفظ الحقوق وتؤدي الواجبات وتسان العهود وبدونها تسوء المعاملات وتندم الثقة وتقطع أواصر المحبة بين الناس ويصيرون متناحرين يضرب بعضهم رقاب بعض ويعثون في الأرض مفسدين .

والتقوى في لسان الشرع هي اتقاء عذاب الله وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (١) .

مدلول التقوى :

وهي في مدلولها لا تكاد تختلف عن البر في مدلوله ولا أدل على ذلك من أنه تعالى بعد ما بين أصول البر بوجه بفضل الأبرار المستحصين لهذه الأصول حيث حكم عليهم إبانهم الصادقون وأنهم المنتقون وذلك وارد في الآية الكريمة من سورة البقرة وهي قوله جل شأنه :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وسعين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المنتقون (٢) » .

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ٢ ص ٦٨٠

(٢) البقرة : ١٧٧

أى أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم وأولئك هم
الكاملون في التقوى وحينئذ أكرم على أهل الجاهلية ما كانوا يفعلون حالة
إحرامهم من إقبائهم البيوت من ظهورها وترك إيتائها من أبوابها باسم
البر بين أن هذا ليس من البر في شيء وإنما البر ما يكون بإتقاء موجبات
السنخ والعقاب وفعل ما يجلب الرضا والثواب .

« وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من إتقى وأتوا
البيوت من أبوابها وإتقوا الله لعلكم تفلحون » (١) .

وعلى هذا فالبر والتقوى كلمتان جامعتان لكل أوصاف الخير
ومشتعلتان على أصول الاعتقاد والعمل والفرائض والنوافل وأن مفهوم
كل منهما هو عين مفهوم الأخرى وكلاهما يحقق للفرد والجماعة حياة النحل
من الرذائل والتحل بالفضائل .

إشادة الله ورسوله بشأن التقوى :

وفي شأن الإشادة بالتقوى قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » (٢) .

وقال تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » (٣) .

وهذه الآية مبيته للبراد من الأولى وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » (٤) .

والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة معلومة .

(٢) آل عمران ١٠٢

(٤) الأحزاب ٧١

(١) البقرة ١٨٩

(٣) التغابن ١٦

وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب »... (١)

وقال تعالى : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم »... (٢)

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فمن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أنقام فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبي الله ابن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فمن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ،... (٣)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فأتقوا الله يا أيها الذين آمنوا النساء فإن أول بنته بن إسرائيل كانت في النساء ،... (٤)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »... (٥)

وعن أبي طريف هدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من حلف على يمين ثم رأى أني لله منها فليأته التقوى ،... (٦)

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

- | | |
|-----------------|-----------------|
| (١) الطلاق ٣٠٢ | (٢) الاتصال ٢٩ |
| (٣) متفق عليه | (٤) رواه مسلم — |
| (٥) رواه مسلم — | (٦) رواه مسلم — |

يخطف في حبه الوداع فقال : « لا تقوا الله وصلوا بحكم وصوموا
شركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمرامكم تدخلوا جنة ربكم »... (١)
ولما أشاد الله ورسوله بشأن التقوى على نحو ما رأينا في هذه
النصوص المباركة لأن القيام بمقتضياتها لا يبنى إلا تطبيق المنهج الإلهي
الذي ارتضاه الله لعباده ديناً قيماً وصراطاً مستقيماً وقال عنه : « وأن
هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون »... (٢).

مكانة التقوى :

ولما كانت التقوى بهذه المناهة فقد أفاض القرآن في حديثه عن
بيان فضلها وإبراز مكانتها وأولاهها من عنايته وتوجيهاته ما يناسب
قدرها وعظيم شأنها لتجد النفوس الذكية في تحصيلها وتتنافس القلوب
الطاهرة في تفقيه ظلالها ويبادر أهل الآثام إلى التطهر بطيب طهورها
والظفر بالحجر الناجم عنها من خير زاد يتزود به الإنسان لأخرفته.

« وتزودوا فإن خير الزاد التقوى »... (٣).

والعفو مرضب فيه شرعاً لأنه أقرب لها .

« وأن تقوا أقرب للتقوى »... (٤).

والتعاون على تحقيقها مقترنه بالبر فريضته محكمة على جماعة المؤمنين .

« وتعاونوا على البر والتقوى »... (٥).

(١) رواه الترمذي -

(٢) البقرة آية ٢٢٧

(٣) البقرة آية ١٩٧

(٤) المائدة آية ٤٣

(٥) المائدة آية ٨

وعدل المؤمنين مع من يخصونهم أقرب لتقواهم لله ، ولا يجر منكم
شذتان قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى ... (١١)

ولباس الودع والخشية من الله تعالى خير ما يتزين به المرء فإن
طهارة الباطن أهم من جماله الظاهر .

« ولباس التقوى ذلك خير » ... (١٢)

ومسجد قباء الذي بنى على تقوى الله وطاعته من أول يوم
أبتدى في بنيانه أولى وأجدر بأن يصل فيه رسول الله ﷺ من مسجد
الصرار .

« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » ... (١٣)

ولا يستوى أبداً من أسس بنيانه على تقوى وخوف من الله تعالى
وطلب لمرضاته بالطاعة وهذا الذي أسس بنيانه على طرف وادى متصدع
مشرف على السقوط تسقط به البناء في نار جهنم .

« ألئن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيراً أم من أسس
بنيانه على شفا جرف هار فإنهد به في نار جهنم » ... (١٤)

وحسن العاقبة وهي الجنة لأهل التقوى .

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسلك رزقا نحن نوزق
والعاقبة للتقوى » ... (١٥)

وتنظيم أمور الدين ومنها أعمال الحج والأضاحي والمدايا من أفعال
المؤمنين لله .

(٢) الإعراف الآية ٢٩

(٤) التوبة الآية ١٠٩

(١) المائدة آية ٨

(٣) التوبة الآية ١٠٨

(٥) طه آية ١٣٢

« ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »... (١).

والهدايا المتقرب بها إليه تعالى لا يصل إلى شيء من لحومها ولا دماؤها ولكن يصل إليه التقوى من المتقرب بين بها إليه بأمثال أوامرهم وطلبهم رضوانه .

« لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »... (٢).

ورسول الله والمؤمنون إختار الله لهم كلمة التقوى لإلزام تكريم وتشريف وهي كلمة التوحيد وكانوا أحق بهذه الفضيلة من كفار مكة لأن الله إختارهم لدينه ، وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها... (٣).

والذين ينضون أصواتهم في حضرة رسول الله ﷺ وهم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ومرتبها عليها وجعلها صفه راسخة فيها .

« إن الذين ينضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم »... (٤).

والمؤمنون من أن يتناجوا فيما بينهم كقول المنافقين واليهود ومأمورون أن يتناجوا بالطاعة والتقوى والعفاف عما نهى الله عنه .

« يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون »... (٥).

واقه جل وعلا حقيق بأن ينشق عذابه ويطاع وحقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه .

« هو أهل التقوى وأهل المغفرة »... (٦).

- | | |
|--------------------|-------------------|
| (١) الحج آية ٣٢ | (٢) الحج آية ٣٧ |
| (٣) الفتح آية ٢٦ | (٤) الحجرات آية ٣ |
| (٥) المجادلة آية ٩ | (٦) المدثر آية ٥٦ |

والنبي محمد ﷺ هو الصالح المهتدى على الطريقة المستقيمة في قوله وفعله . والأمر بالإخلاص والتوحيد والداعي إلى الهدى والرشاد .

«أرايت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى» (١)

ذلك طرف يسير من حديث القرآن عن التقوى وقد تبين من خلاله سمو مكانتها وعظيمة ما ترى إليه وأنه لا بد من ملازمتها لكل عمل يقدم عليه المرء في حياته لتطهير في نفسه ملكة خفية الله وتعظيمه ومراقبته . وتعلل همة وتقوى عزيمته وإرادته فتركوا نفسه وتنفر من المعاصي والزنازل وتألف الطاعات والفضائل ولن يتيسر له ذلك إلا بئذ الجهد في مجاهدته النفس ومخالفة الأهواء وتحقيق ما بين الله لعباده من مراده بالتقوى حسبها هو وارد في قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون» (٢)

تقوى الله حق تقاته :

فهذه الآية الكريمة تبين أن التقوى العامور بها من قبل الله هي تهاون حق تقاته وفي معناها يقول ابن مسعود رضي الله عنه .

« هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى » (٣)

وعن ابن عباس أنه فرما . « بأن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم . ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم » (٤)

(٢) آل عمران ١٠٢

(١) العلق ١٢

(٣) تفسير البيضاوي ج ١ ص ١٥٠

(٤) المتار ج ٤ ص ١٦

وقد فهم بعض العلماء من هاتين الروايتين أن العباد قد كلّفوا في هذه الآية بما لا طاقة لهم به ... ويروون في ذلك عن سعيد بن جبير أنه قال إنها لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا في صلاة الليل ، حتى ورعت عراقيبتهم ونقرحت جباههم ما نزل الله تخفيفاً عليهم . « فأنقوا الله ما استطعتم » (١) .

ونسخ ذلك قوله « أنقوا الله حق تقائه » وهذا فهم ليس بمستقيم لأن تقوى الله حق تقائه . هي تقوى الله ما استطاع الإنسان ولا تعارض بينهما إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . وهي ترجع إلى حفظ النفس من كل ما يذلّها خوفاً من غضب الله وطمعاً في مرضاته وصلوا على أفراد الحق والصالح في كل نواحي الحياة وأن يكون ذلك كله بقدر ما في وسع الإنسان من فعل الخير والمعروف مع الإخلاص فيهما دون تعريضه إذا تحققت التقوى على هذا النحو وإتقى كل إنسان ربه وراقبه وأستلّت نفسه بعظمته بخلاف غضبه ورجاء رضاه ظهرت نفسه وأشرق عليها نور الحق واليقين واتجهت إلى الخير في سائر أحوالها فأفادت واستفادت ونشرت على الناس الكثير من بركات المتقين الذين مجد الله أمرهم بقوله تعالى :

« إن المتقين في جنات وعيون أخذين ما آتاهم ربهم لهم كما كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (٢) .

(١) روح المعاني ج ١٠ ص ١٢٧

(٢) سورة الذاريات ١٥ : ١٩

أنواع تقوى الله حق تقاته :

هذا ولتقوى الله حق تقاته نوحان وكل منهما يتقى به نوع من أنواع عقاب الله تعالى وعقابه نوعان دنيوي وآخرى وكل منهما يتقى بإتقاء أسبابه وهى نوحان : مخالفة دين الله وشرعه ومخالفة سنته فى نظام خلقه فأما عقاب الآخرة فيتقى بالإيمان الصحيح والتوحيد الخالص والعمل الصالح واجتناب ماينافى ذلك من الشرك والكفر والمصاحى والردائل وذلك مبين فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفضل ما يستعان به على فهمهما واتباعهما سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأولين من آل الرسول وعلماء الأمصار ، وأما عقاب الدنيا فيجب أن يستعان على إتقائه بالعلم يسكن الله تعالى فى هذا العالم ولا سيما من اعتدال المراج وصحة الأبدان وأمثلتها طاهرة — ومن الاجتماع البشرى بإتقاء الفضل والخلافان فى القتال يتوقف على معرفة نظام الحرب وفنونها وإتقان آلاتها وأسلحتها التى إرتقت فى هذا العصر إرتقاء عجيباً وهو المشار إليه بقوله تعالى :

«واعدوا لهم ما استلغتم من قوة ومن رباط الخيل» (١)
كما يتوقف على أسباب القوة المعنوية من اجتماع الكلمة واتحاد الامة والهير والنيات والتوكل على الله وإحتساب الأجر عنده .
«يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا وأذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنأصروا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين» (٢).

(١) سورة الأنفال ٦٠

(٢) — (١) سورة الأنفال ٤٥ — ٤٦

(ب) انظر تفسير المنار ج ١ ص ١٠٥ — ١٠٦

وبما على ذلك يكون قد انتصح كل من وعى تقوى الله حق تقاه
إتصافا لا مكلف من يريده ، لا الإقبال عليه و لجنه من الأخذ به ليحذر من
المسكة ويمتصم من الضلال .

وما كان الله ليصل قوما بعد إذ هداهم حتى يريد بهم ما يفتقون^(١) .

إعداد النفوس لتقوى الله :

م يترك الله عباده الذين كلهم تقواه في كل ما يقومون وما يسرون دون
أن يبين لهم ما يؤملهم فلا ارتقاء بدواتهم إلى مستوى لتقوى والقياس
مخفقا على أكمل الوجوه وأحسن وإعما . من هم ذلك في كتابه المحكم
الذي لا يقر ولا الحق ولا خلق إلا بالصدق وأنهم تعمل به في آيات
بيات لا يبين الدهر جدتها وأودع في هذه الآيات ما يفي كذا أن هذه الصل
كفيل وباعداد من يود قلب عليه إعدادا طيب للقيام بمصنوعات التقوى
والمداومة على في حلونه وجلوته وفي سائر مصطلحاته ويمكن لكل من
له صلة بكتابه الله أن يعرف كل ذلك من خلال المظارة التأملية في شرح
الله تعالى لمبادئ في هذا الصدد فقد أمر الله جل وعلا الناس جميعا أن
يسمونه ومبادئه تعالى هي التي تعدم التقوى ويرجى بها بلوح غاية
الكمال القصوى .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ »^(٢) .

(١) التوبة ١١٥

(٢) البقرة آية ٢١

وطلب إليهم أن يذكروا الكتاب المنزل عليهم وأن يصبروا بما فيه من
وصرة وأن يحفظوا ما فيه ولا يثسروا ولا يفتخروا به ليقوا الهلاك في
الدين والعداب في الآخرة وكان ذلك من خلال ما ذكره في أسرار
من العهد الذي أحده عنهم بالعمل بما في التوراة حين مع الطور حتى صار
موقفهم كالظلة وأمرهم أن يصبروا معقضى هذا العهد وأن لا يترأخوا منه
فيكونوا من المالكين .

وولد أحدا ميثاقهم ورفضوا موقفكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة
واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون ، (١) .

« ولد متقيا الجس منهم كأنه ظله وظلوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون ، (٢) .

ولما كان في القصص حياتهم شرعة لم لعدم ويهيم لتقوى
والإحتراس من سخط الدماء وسائر دروب الاعتداء إلى العاقل حريص
على الحياة ولوع بالأخذ برسائلها والإحتراس من عوائدها
« ولستم في القصص حياة يا أولى الألباب لعلمكم تتقون ، (٣) .

ولا كتب « إلى الصيام على المؤمنين كما كتبه على من قبلهم أردف ذلك
ببيان فائدته السكرى وحكمته العلي وهو أنه بعد خمس الصائم لتقوى الله
تعالى وترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة مثالا لأمره واحتساب ما للأجر
عنده . فترى بذلك إرادته على ملكه ترك الشهوات الفحشاء والصبر بها
فيكون اجتنابها أمرا عليه وتقوى على النهوض بالطاعات والامتناع
والإصطبار عليها فيكون التنبأ عليها أمرا عليه .

(٢) الأعراف ١٧١

(١) البقرة آية ٢١

(٣) البقرة آية ١٧٩

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١)

ولما بين أحكام الصيام وهي عن قربها أحبر أنه على هذا النحو من بيان أحكام الصيام في أوله وآخره وحقيقته وعرضته وحصته وفائده وحكمته بين آياته للناس أتم البيان وأكمل ، ليعدم للتقوى والتأدب من أروم وأهوى .

« ذلك حسدود الله فلا تقربوها كذلك بين الله آياته للناس لعلهم يتقون » (٢)

وحين كلف بنيه محمد ﷺ أن يتدبر بالقرآن جملة المألوفين الذين هم من حشية ربه مشفقون ، والذين يخافون وطأة العشر والقدر على الله عز وجل وما فيه من شدة الحساب وما ينتبه من الجوار على الأعمال في يوم لا يبرح فيه ولا خطه ولا شفاعة وكل يأية فيه برداً ليس له من دون الله ولي نصرة ولا شفع يدفع عنه . بين أن هؤلاء هم الذين يرجى أن يتقوا الله تعالى إعتدافاً بآثاره ويحروا ما يؤدي إلى مرضاته لا يصدم عن نقراء الإنكسار على الأول . ولا الاعتناء عن الشهادة لصحة توحيدهم وعلمهم أن الشهادة لله جميعاً .

« وأئذ به الذين يخافون أن يحشروا لم يبرح لهم من دونه ولي ولا شفع لهم يتقون ... » (٣)

وبين أنه ما على المنقذين شيء من حساب الخاطئين في المراتب المستترين فالرسول والمؤمنين ولكن عليهم أن يذكروهم ويظلمهم ويذكروهم عليهم

(٢) البقرة آية ١٨٧

(١) البقرة آية ١٨٣

(٣) البقرة آية ١٨٤

في تلك الحال لعل ذلك يؤهلهم للتقوى ويحملهم مستعدين لها فيتقون
الخوض والاستهزاء ولو في حشرتهم .

« وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ، ولكن ذكرى لعلهم
يتقون » (١) .

وعندما أوصى بإتباع صراط الحق المستقيم ونهى عن سبل الضلال ،
والإباطيل المموجة أخبر أنه ما وصى بذلك إلا ليحد به المخاطبين ويهتد بهم
لا يرجي لكل من اتبعه من انقاء كل ما يشقيه ويرديه في دنياه وآخرته .
وأن هذا اضراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » (٢) .

وأخبر تعالى : أن الوعظ بالموعظة الحسنة أمر ضروري لتحقيق
الحياة الطيبة للواعظ والموعوظ حتى ولو كان الموعوظ قد استوجب
العذاب نتيجة سوء فعله وذميمة شخصه فقد ورد في الذين كانوا يمتدون
في السبت أن أهل غريتهم كانوا ثلاث فرق . فرقة العادين . وفرقة الواعظين
الذين نهوا العادين عن الصدوان وعظومهم ليكفوا عنه . وفرقة اللائمين
للواعظين التي قالت لهم : لما نعلمون قوما قضى الله عليهم بالهلكة أوبالعداب
الشديد . قال الواعظون لللائمين تعظم وعظ عذر نعمتكم به إلى ربكم عن
السكوت على المنكر وقد أمرنا بالتأني عنه ورجاء في انتقامهم بالموعظة
وحملهم على انتفاء الاعتداء الذي افترقوه فنجح لم يأس من رجوعهم إلى
الحق كما يسكم (٣) .

(١) الأنعام آية ٦٩ (٢) الأنعام الآية ١٥٣

(٣) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩

« وإذ قالت أمة منهم لما نعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً
شديداً قالوا عدونا إلى ربكم واعلمهم يتقون » (١).

وهو جلي وعلا أنزل الكتاب على نبيه ﷺ بلغة العرب ليعرفوا
أله في النصيحة والبلاغة خارج عن طوق البشر وكرر فيه الإنذار
والوعيد كي يتقوا الكفر والمماص أو يحدث لهم موعظة في القلوب ينشأ
عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي .

« وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفناه فيه من الوعيد لعلمهم يتقون
أو يصدت لهم ذكراً » (٢).

كما أنه تبارك اسمه ، بين ووضع للناس في هذا القرآن من كل الأمثال
النافعة والأخبار الواضحة ما يحتاجون إليه لعلمهم يتقون ويعتبرون بتلك
الأمثال والزواجر حال كونه قرآناً عربياً لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه
ولا تعارض ولا تناقض لكي يتقوا الله ويتجنبوا محارمه .

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون .
قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلمهم يتقون » (٣).

فعل ضروري ما ذكر يمكننا معرفة ما شرعه الله تعالى في كتابه الكريم
لإعداد النفوس وتبليغها شريعته كاملة لتحقيق تقواه حتى تقائه إذا ما أقبلت
عليه وأخذت به واحتسنت إليه في كل ما يمن لها من فعل وترك ، ولكي
يتحقق ذلك كثر في القرآن أمر الناس بتقوى الله وجاء ذلك على أساليب
مختلفة وأنبيات متعددة مذكراً حيناً بنعمه الخلق وحيناً بنعمه الرزق وحيناً
بهول الساعة ويوم الجلاء .

(١) الأعراف آية ١٦٤ (٢) طه آية ١١٣

(٣) الرمز آية ٢٦ ، ٣٧

ويا أيها الناس اتقوا ربكم وأخشوا يوماً لا يجزي والد عن والده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً .

« واتقوا الذي أمركم بما تعملون أمركم بالإنعام وبين وجبات وعيون . »

إلى غير ذلك من الآيات وقد كان الأمر بالتقوى صادر من جميع المرسلين لأفئدة راسخين لا يرق في ذلك بين أولهم وآخرهم حتى تكون لهم التقوى جميعاً على هذه الكلمة ... « أفلا تتقون ، ... » فاتقوا الله وأطيعون .

تقوى الله من تقوى عباده :

وعلاوة على بيانه تعالى ما شرعه لإعداد النفوس لتقواه فإنه بين الثمرات المترتبة على القيام بموجبات هذه التقوى وبيانه ذلك وعد منه ووعده باستجلب عليه أن يخلف .

« وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ... » (١)

وبعد هذا البيان منه أيقن آيات كمال كرمه وعظيم فضله وتعام استغناؤه عن تقوى عباده لأن تقوى العباد إياه لا تجلب له تعالى نفعاً كما أن عدمها لا يلحق به ضرراً .

« والله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً ... » (٢)

(١) الروم آية ٦ (٢) النساء آية ١٣١

غنياً عن كل شيء بذاته لذاته ولأن كل شيء له ومنه محموداً بذاته لذاته
وكمال صفاته محموداً على جميع أفعاله لأنه أحسن كل شيء خلقه فهو
لا يحتاج إلى تقوى أحد لتكامل نفسه ولا إلى أحد من خلقه لتحقيق حده.
« وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (١).

« وفي الحديث القدسي المروي عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل
« يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني
يا عبادي لو أن أولكم وآجركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب
رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم
وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص
ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا
في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي
إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها
لكم ثم أوفيك إياها فن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك
فلا يلومن إلا نفسه » (٢).

شروط التقوى :

نحن إذ نتبع حديث الله عن ثمرات التقوى في القرآن الكريم
نجد أن التقوى لن تأتي ثمارها المرجوة منها إلا بشروط لا بد من
توافرها فيها.

أولها : أن تكون مرتكزة على ركنين وأساسين متينين الإيمان
الكامل .

(١) الأمراء محمد (٢) صحيح مسلم .